٤ ـ الدين

التحقيق اللغوي

تستعمل كلمة الدين [1] في كلام العرب بمعان شتى وهي : [2]

(١) القهر والسلطة والحكم والأمر ، والاكراه على الطاعة ، واستخدام القوة القاهرة (Sovereignty) فوقه ، وجعله عبداً ، ومطيعاً ، فيقولون (**دان الناس**) أي قهرهم على الطاعة ، وتقول (**دنتهم فدانوا**) أي قهرتهم فأطاعوا . و (**دنت القوم**) أي أذللتهم واستعبدتهم ، و (**دان الرجل**) إذا عز و (**دنت الرجل**) حملته على مايكره . و (**دُيِّن فلان**) إذا حمل على مكروه . و (**دنته**) أي سسته وملكته . و (**ديَّنْتُه القوم**) وليته سياستهم ، ويقول الحطيئة يخاطب أمه :

---

(١) قال ابن فارس في (مقاييس اللغة) ٢ / ٣١٩ مادة (دين) : « الدال والياء والنون أصل واحد إليه يرجع فروعه كلها ، وهو جنس من الانقياد والذل . » اهـ

(٢) انظر (لسان العرب) ١٧ / ٢٤ ـ ٣٠ .

لقد ديّنتِ أمرَ بنيكِ حتى تركتِهِمُ أدقَّ من الطحينِ (١)

وجاء في الحديث النبوي على صاحبه الصلاة والسلام : (الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت) أي قهر نفسه وذللها ، ومن ذلك يقال (ديان) للغالب القاهر على قطر أو أمة أو قبيلة والحاكم عليها ، فيقول الأعشى الحرمازي يخاطب النبي ﷺ :

ياسيد الناس وديان العرب

وبهذا الاعتبار يقال (مدين) للعبد والمملوك و (المدينة) للأمة فـ (ابن المدينة) معناه ابن الأمة كما يقول الأخطل :

ربت وربا في حجرها ابن مدينة (٢)

وجاء في التنزيل :

(فَلَوْلَا إِن كُنْتُم غَيرَ مَدِينِينَ . تَرجعونَها إِن كُنْتُم صَادِقِينَ .)

(الواقعة : ٨٦ – ٨٧)

(٢) الإطاعة والعبدية والخدمة والتسخر لأحد والائتمار بأمر أحد ، وقبول الذلة والخضوع تحت غلبته وقهره . فيقولون (دنتهم فدانوا) أي قهرتهم فأطاعوا ، و (دنت الرجل) أي خدمته ،

---

(١) البيت في اللسان ١٧ / ٢٨ . وأساس البلاغة ١ / ٢٩١ وروايته في ديوان الحطيئة : ٦١ « وقد سوست أمر ... »

(٢) البيت في ديوان الأخطل ٥ ، واللسان ١٧ / ١٨٩ ، و ١٣ / ٢١٣ ، ومقاييس اللغة ١ / ٣٣٤ ، و ٢ / ٣١٩.

وجاء في الحديث ، قال رسول الله ﷺ (**أريد من قريش كلمة تدين بها العرب**) أي تطيعهم وتخضع لهم . بهذا المعنى يقال للقوم المطيعين (**قوم دين**) بهذا المعنى نفسه قد وردت كلمة الدين في حديث الخوارج : (**يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية**) [1]

(٣) الشرع والقانون والطريقة والمذهب والملة والعادة والتقليد ، فيقولون (**مازال ذلك ديني وديدني**) أي دأبي وعادتي . ويقال (**دان**) إذا اعتاد خيراً أو شراً . وفي الحديث (**كانت قريش ومن دان بدينهم**) أي من كان على طريقتهم وعادتهم . وفيه (**أنه عليه السلام كان على دين قومه**) أي كان يتبع الحدود والقواعد الرائجة في قومه في شؤون النكاح والطلاق والميراث وغير ذلك من الشؤون المدنية والاجتماعية .

(٤) الجزاء والمكافأة والقضاء والحساب . فمن أمثال العرب (**كما تدين تدان**) أي كما تصنع يصنع بك . وقد روى القرآن قول

---

(١) ليس معنى الحديث أن الخوارج سيخرجون من الدين بمعنى الملة . فان عليا كرم الله وجهه لما سئل عنهم : اكفارهم ؟ قال : من الكفر فروا . فسئل أفمنافقون هم ؟ قال : المنافقون لايذكرون الله إلا قليلا ، وأولئك يذكرون الله صباح مساء ، فيتقرر من ذلك أن المراد بالدين في هذا الحديث هو إطاعة الإمام . وقد فسره ابن الأثير بهذا المعنى في كتابه (النهاية) فقال : أراد بالدين الطاعة ، أي انهم يخرجون من طاعة الإمام المفترض الطاعة وينسلخون منها (الجزء الثاني الصفحة ٤١ - ٤٢) .

الكفار (أإنا لمدينون) أي هل نحن مجزيون محاسبون ؟ وفي حديث ابن عمر رضي عنهما قال رسول الله ﷺ (لاتسبوا السلاطين ، فان كان لابد فقولوا اللهم دنهم كما يدينون) أي أفعل بهم كما يفعلون بنا . ومن هنا تأتي كلمة (الديان) بمعنى القاضي وحاكم المحكمة وسئل أحد الشيوخ عن علي كرم الله وجهه فقال : ((انه كان ديان هذه الأمة بعد نبيها) أي كان أكبر قضاتها بعده .

استعمال كلمة (الدين) في القرآن :

فيتبين مما تقدم أن كلمة (الدين) قائم بنيانها على معان أربعة ، أو بعبارة أخرى هي تمثل في الذهن العربي تصورات أربعة أساسية .

أولها : القهر والغلبة من ذي سلطة عليا .

والثاني : الاطاعة والتعبد والعبدية من قبل خاضع لذي السلطة .

والثالث : الحدود والقوانين والطريقة التي تتبع .

والرابع : المحاسبة والقضاء والجزاء والعقاب .

وكانت العرب تستعمل هذه الكلمة قبل الاسلام بهذا المعنى تارة أخرى حسب لغاتهم المختلفة ؛ إلا أنهم لما لم تكن تصوراتهم لتلك الأمور الأربعة واضحة جلية ولا كان لها من السمو والبعد نصيب ، كان استعمال كلمة (الدين) مشوباً بشوائب اللبس والغموض ، ولذلك

لم يتح لها أن تكون مصطلحاً من مصطلحات نظام فكري متين ، حتى نزل القرآن فوجد هذه الكلمة ملائمة لأغراضه ؛ فاقتناها واستعملها لمعانيه الواضحة المتينة ، واصطنعها مصطلحاً له مخصوصاً . فانت ترى أن كلمة (الدين) في القرآن تقوم مقام نظام بأكمله ، يتركب من أجزاء أربعة هي :

١ - الحاكمية والسلطة العليا .

٢ - الاطاعة والاذعان لتلك الحاكمية والسلطة .

٣ - النظام الفكري والعملي المتكون تحت سلطان تلك الحاكمية .

٤ - المكافأة التي تكافئها السلطة العليا على اتباع ذلك النظام والاخلاص له أو على التمرد عليه والعصيان له .

ويطلق القرآن كلمة (الدين) على معنيها الأول والثاني تارة ، وعلى المعنى الثالث أخرى وعلى الرابع ثالثة ، وطوراً يستعمل كلمة (الدين) ويريد بها ذلك النظام الكامل باجزائه الأربعة في آن واحد . ولا يضاح ذلك يجمل بنا النظر فيما يأتي من الآيات الكريمة :

الدين بالمعنيين الأول والثاني :

(اللهُ الذِي جَعَلَ لَكُمُ الأرضَ قَراراً وَالسَّماء بِنَاءً وَصَوَّرَكُم فَأَحسَنَ صورَكُمْ وَرَزَقَكم مِن الطيِّبَاتِ ذَلِكُم

اللهُ رَبُّكم فتبارَكَ اللهُ رَبُّ العَالمينَ ، هوَ الحيُّ لَا إِلَه إِلاّ هوَ فَادعوه مخلِصينَ لَهُ الدينَ الحمدُ للهِ رَبِّ العَالمينَ .)

(غافر : ٦٤ – ٦٥)

(قُلْ إِني أُمِرْتُ أَن أَعبُدَ اللهَ مُخلِصاً لَهُ الدينَ. وأُمِرْتُ لِأَنْ أَكونَ أَولَ المسلِمينَ) . . . (قُلِ اللهَ أَعبُد مُخلِصاً لَه ديني . فَاعبدوا مَا شِئتم من دونِهِ) . . . .

(والذينَ اجتَنبوا الطاغوتَ أَنْ يَعبُدوهَا وأَنابوا إِلى الله لهمُ البشرى) . . . . (إِنا أَنزلنا إِليكَ الكِتابَ بِالحقِّ فَاعبد اللهَ مُخلِصاً له الدينَ . أَلا للهِ الدينُ الخَالصُ .)

(الزمر : ١١ – ١٢ و ١٧ ، و ٢ – ٣)

(وَلهُ مَافي السَّماواتِ وَالأَرضِ وَلهُ الدينُ واصِباً أَفغيرَ اللهِ تتَّقونَ .) (النحل : ٥٢)

(أَفغيرَ دين اللهِ يبغونَ ولهُ أَسلمَ مَنْ في السَّماواتِ وَالأَرض طوعاً وَكَرْهاً وَإِليهِ يُرجَعونَ .) (آل عمران : ٨٣)

(وَمَا أُمِروا إلاّ لِيعبُدوا الله مُخلِصينَ لهُ الدينَ حُنفَاء .)

(البينة : ٥)

في جميع هذه الآيات قد وردت كلمة (الدين) بمعنى السلطة العليا ، ثم الاذعان لتلك السلطة وقبول إطاعتها وعبديتها . والمراد باخلاص الدين لله ألا يسلم المرء لأحد من دون الله بالحاكمية والحكم والأمر ، ويخلص إطاعته وعبديته لله تعالى إخلاصاً لايتعبد بعده لغير الله ولا يطيعه إطاعة مستقلة بذاتها (١)

الدين بالمعنى الثالث :

(قُلْ ياأيُّها الناسُ إن كُنتم في شَكٍ مِن دِيني فَلاَ أَعبُدُ

---

١ ـ (معناه أن تكون إطاعة المرء لغير الله - أياً كان هو - تابعة لإطاعة الله تعالى ومتضمنة فيما قد رسم لها من الحدود . فاطاعة الولد لوالده وإطاعة المرأة لزوجها ، وإطاعة العبد أو الخادم لسيده وما شاكلها من الإطاعات ، إن كانت بأمر من الله ومتضمنه فيما قد وضع لها من الحدود فانها عين إطاعة الله . وأما إذا كانت خارجة عن تلك الحدود أو مستقلة بذاتها ، فانها البغي والعصيان .

وقل مثل ذلك في الحكومة ، فهي إن كانت مبنية على القانون المنزل من عند الله تعالى قائمة بانفاذ حكم الله في أرضه فان اطاعتها واجبة أما إذا لم تكن كذلك ، بل كان أساسها القوانين الوضعية ، فان إطاعتها جريمة :

الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين . وأن أقم وجهك للدين حنيفاً ولا تكونن من المشركين .)

(يونس : ١٠٤ — ١٠٥)

(إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم .) (يوسف : ٤٠)

(وله من في السماوات والأرض كل له قانتون) . . . (ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم) . . . . (بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم) . . . . (فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها [1] لا تبديل لخلق الله

---

(١) أي أن الفطرة التي قد فطر الله عليها الإنسان هي أن لاشريك لله تعالى في خلق الإنسان وإبلاغه الرزق وتولي الربوبية له ، ولا إله لبني آدم ولا مالك ولا مطاع حقيقياً غير الله تعالى . فالطريق الصحيح الطبيعي للانسان أن يخص عبديته لله تعالى وحده ولا يكون عبداً لغيره .

ذَلِكَ الدينُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أكثرَ النَّاسِ لَايَعلَمونَ .)

(الروم: ٢٦ و ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠)

(الزانِيةُ والزاني فَاجلِدوا كلَّ وَاحِدٍ مِنهما مَائةَ جَلدةٍ وَلا تَأخُذْكم بِهما رَأفةٌ في دِينِ اللهِ .) (النور: ٢)

(إنَّ عِدةَ الشهورِ عندَ اللهِ اثنـا عشرَ شهراً في كِتَابِ اللهِ يَومَ خلقَ السَّماواتِ وَالأرضَ ، مِنهَا أربعةٌ حُرُمٌ ، ذَلكَ الدينُ القيِّـم .) (التوبة ٣٦)

(كذلكَ كِدنا ليوسفَ مَاكَانَ لِيأخذَ أخاهُ في دينِ الملكِ .)

(يوسف: ٧٦)

(وَكَذلكَ زيَّنَ لكثيرٍ مِنَ المُشركينَ قَتلَ أولادِهم شُركاؤهمْ[1] ليُردُوهمْ وليلبِسوا[2] عَليهمْ دينَهُم .)

(الأنعام: ١٣٧)

---

(١) أي الذين أتخذوهم مع الله شركاء في الإلهية ، والحكم والأمر ، والتشريع .

(٢) المراد بلبس الدين عليهم هو أن هؤلاء الشارعين الكذابين يزينون لهم ذلك الاثم تزييناً بوهمهم أن فعلتهم تلك جزء من الدين الذي توارثوه قديماً عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام .

(أَمْ لَهمْ شُرَكَاءُ شَرَعوا لَهم مِنَ الدينِ مَا لَمْ يَأذنْ بِهِ اللهُ.)

(الشورى : ٢١)

(لَكُمْ دينكم وليَ دينْ .) (الكافرون : ٦)

المراد بـ (الدين) في جميع هذه الآيات هو القانون والحدود والشرع والطريقة والنظام الفكري والعملي الذي يتقيد به الانسان فان كانت السلطة التي يستند إليها المرء لاتباعه قانوناً من القوانين أو نظاماً من النظم سلطة الله تعالى ، فالمرء لاشك في دين الله عز وجل ، وأما إن كانت تلك السلطة سلطة ملك من الملوك ، فالمرء في دين الملك ، وإن كانت سلطة المشايخ والقسوس فهو في دينهم . وكذلك إن كانت تلك السلطه سلطة العائلة أو العشيرة أو جماهير الأمة ، فالمرء لاجرم في دين هؤلاء . وموجز القول أن من يتحذ المرء سنده أعلى الأسناد وحكمه منتهى الأحكام ثم يتبع طريقاً بعينه بموجب ذلك . فانه ـ لاشك ـ بدينه يدين .

الدين بالمعنى الرابع :

(إنَّ مَاتوعدون لصادقٌ وَإنَّ الدينَ لَواقع .)

(الذاريات : ٥ ـ ٦)

(أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ . فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ . وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ .) (الماعون ١ – ٣)

(وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ . ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ . يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ .)

(الانفطار : ١٧ – ١٩)

قد وردت كلمة (الدين) في هذه الآيات بمعنى المحاسبة والقضاء والمكافأة .

الدين : المصطلح الجامع الشامل

إلى هذا المقام قد استعمل القرآن كلمة (الدين) فيما يقرب من معانيها الرائجة في كلام العرب الأول . ولكننا نرى بعد ذلك أنه يستعمل هذه الكلمة مصطلحاً جامعاً شاملاً يريد به نظاماً للحياة يذعن فيه المرء لسلطة عليا لكائن ما ، ثم يقبل إطاعته واتباعه ويتقيد في حياته بحدوده وقواعده وقوانينه ويرجو في طاعته العزة والترقي في الدرجات وحسن الجزاء ، ويخشى في عصيانه الذلة والخزي وسوء العقاب . ولعله لا يوجد في لغة من لغات العالم مصطلح يبلغ من الشمول والجامعية أن يحيط بكل هذا المفهوم . وقد كادت كلمة (State) تبلغ

قريباً من ذلك المفهوم ولكنها تفتقر إلى مزيد من الاتساع لأجل إحاطتها بحدود معاني كلمة (الدين) . وفي الآيات التالية قد استعمل (الدين) بصفة هذا المصطلح الجامع:

(الأول والثاني) (الرابع) (الثالث)

(قَاتِلوا الذِين لا يؤمِنونَ بِالله وَلا بِاليَومِ الآخِرِ وَلا يحرمونَ مَاحَرَّمَ اللهُ وَرَسُولهُ وَلا يدينونَ دينَ الحقّ مِنَ الذين أوتوا الكِتَابَ حَتى يُعطوا الجِزيةَ عَن يدٍ وَهم صَاغِرونَ)

(التوبة : ٢٩)

(الدين الحق) في هذه الآية كلمة اصطلاحية قد شرح معانيها واضع الاصطلاح نفسه عز وجل ، في الجمل الثلاث الأولى ، وقد أوضحنا بوضع العلامات على متن الآية أنه قد ذكر الله تعالى فيها جميع معاني كلمة (الدين) الأربعة ، ثم عبر عن مجموعها بكلمة (الدين الحق) .

(وَقَالَ فِرعَونُ ذَروني أَقتلْ موسى وَليدعُ رَبَّهُ إِني أَخَافُ أَنْ يُبدِّلَ دِينكم أو أَنْ يُظهِرَ في الأَرضِ الفَسَادَ .)

(غافر : ٢٦)

وبملاحظة جميع ماورد في القرآن من تفـاصيل لقصة موسى عليه السلام وفرعون ، لايبقى من شك في أن كلمة (الدين) لم ترد في تلك الآيات بمعنى النحـلة والديانة فحسب ، أريد بها الدولة ونظام المدنية أيضاً . فـكان مما يخشاه فرعون ويعلنه : أنه إن نجح موسى عليه السلام في دعوته ، فان الدولة ستدول وإن نظام الحياة القائم على حاكمية الفراعنة والقوانين والتقاليد الرائجة سيقتلع من أصله . ثم إما أن يقوم مقامه نظام آخر على أسسس مختلفة جداً ، واما ألا يقوم بعده أي نظام. بل يعم كل المملكة الفوضى والاختلال .

(إِنَّ الدينَ عِندَ اللهِ الاسلَام .) آل عمران ـ ١٩

(وَمَنْ يبتغِ غَيرَ الاسلَام دِيناً فلَنْ يُقبَل مِنهُ .)
(آل عمران : ٨٥)

(هوَ الذي أرسَلَ رَسُولهُ بِالهـدى وَدينِ الحـقِّ ليُظهِرهُ عَلَى الدينِ كلّـهِ وَلوْ كَرهَ المُشركونَ .) (التوبة ـ ٣٣)

(وَقاتِلوهم حَتى لاتكونَ فتنَةٌ ويكونَ الدينُ كلّـهُ لله .)
(الأنفال : ٣٩)

(إذا جَاءَ نَصرُ اللهِ وَالفتحُ وَرَأيتَ النّاسَ يَدخلونَ في

دِينِ اللهِ أفوَاجاً فَسَبح بحَمدِ رَبِّكَ وَاستَغفِرهُ إنَّهُ كَانَ تَوابا.)

(سورة النصر)

المراد بـ (الدين) في جميع هذه الآيات هو نظام الحياة الكامل الشامل لنواحيها من الاعتقادية والفكرية والخلقية والعملية.

فقد قال الله تعالى في الآيتين الأولين إن نظام الحياة الصحيح المرضي عند الله هو النظام المبني على إطاعة الله وعبديته. واما ماسواه من النظم المبنية على إطاعة السلطة المفروضة من دون الله، فانه مردود عنده، ولم يكن بحكم الطبيعة ليكون مرضياً لديه، ذلك بأن الذي ليس الانسان إلا مخلوقه ومملوكه وربيبه، ولا يعيش في ملكوته إلا عيشة الرعية، لم يكن ليرضى بأن يكون للانسان الحق في أن يحيا حياته على إطاعة غير سلطة الله وعبديتها، أو على اتباع أحد من دون الله.

وقال في الآية الثالثة أنه قد أرسل رسوله ﷺ بذلك النظام الحق الصحيح للحياة الانسانية — أي الاسلام — وغاية رسالته أن يظهره على سائر النظم للحياة.

وفي الرابعة قد أمر الله المؤمنين بدين الاسلام أن يقاتلوا من في الأرض ولا يكفوا عن ذلك حتى تمحي الفتنة، وبعبارة أخرى حتى يمحي جميع النظم القائمة على أساس البغي على الله، وحتى يخلص لله تعالى نظام الاطاعة والعبدية كله.

وفي الآية الأخيرة الخامسة قد خاطب الله تعالى نبيه ﷺ حين تم الانقلاب الاسلامي بعد الجهد والكفاح المستمر مدة ثلاث وعشرين سنة ، وقام الاسلام بالفعل بجميع أجزائه وتفاصيله نظاماً للعقيد والفكر والخلق والتعليم والمدنية والاجتماع والسياسة والاقتصاد ، وجعلت وفود العرب تتتابع من نواحي القطر وتدخل في حظيرة هذا النظام ، فاذ ذاك – وقد أدى النبي رسالته التي بعث لأجلها – يقول له الله تعالى : إياك أن تظن أن هذا العمل الجليل الذي قد تم على يديك من كسبك ومن سعيك ، فيدركك العجب به ، وإنما المنزه عن النقص والعيب والمنفرد بصفة الكمال هو ربك وحده ، فسبح بحمده واشكره على توفيقه إياك للقيام بتلك المهمة الخطيرة وأسأله : اللهم اغفر لي ماعسى أن يكون قد صدر مني من التقصير والتفريط في واجبي خلال الثلاث والعشرين سنة التي قد قمت بخدمتك فيها :

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين